المبحث التاسع

الميزان في التصور الإسلامي

من مشاهد يوم القيامة الميزان، ويكون بعد الحساب يقول القرطبي في التذكرة: «**قال العلماء إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء، فيكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها، لكون الجزاء بحسبها. قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء :٤٧]**»[(١)].

والميزان ثابت بالكتاب والسنة والإجماع. والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف :٨-٩].

وقول الرسول ﷺ فيما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان**»[(٢)] يقول السعد: «**ذهب كثير من المفسرين إلى أنه ميزان له كفتان ولسان وساقان، عملا بالحقيقة لإمكانها، وقد ورد في الحديث تفسيره بذلك**»[(٣)].

ويقول ابن تيمية حين سئل عن الميزان: «**الميزان هو ما يوزن به الأعمال وهو غير العدل، كما دل على ذلك الكتاب والسنة مثل قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف :٨] وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء :٤٧] وفي**

---

(١) التذكرة للقرطبي جـ ٢ ص ٣٧٣ .
(٢) رواه الإمام مسلم جـ ١ص ٢ - ٣ .
(٣) المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٦٤ .

الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان**»[١]. والميزان كما يقول الإمام الغزالي «**حق، وقد دلت عليه قواطع السمع، وهو ممكن فوجب التصديق به**»[٢].

والقاضي عبد الجبار من المعتزلة يثبت الميزان، ويرد على ما يذهب إلى المقصود بالميزان العدل. يقول: «**أما وضع الموازين فقد صرح الله تعالى به في محكم كتابه، قال الله تعالى**: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢] ويقول: لم يرد الله تعالى بالميزان إلا المعقول من المتعارف فيما بيننا دون العدل وغيره، على ما يقوله بعض الناس؛ لأن الميزان وإن ورد بمعنى العدل في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الحديد: ٢٥] فذلك على طريق التوسع والمجاز، وكلام الله تعالى مهما أمكن حمله على الحقيقة لا يجوز أن يعدل به عنه إلى المجاز»[٣]، ويرد بذلك القاضي عبد الجبار على بعض علماء المعتزلة الذين ذهبوا إلى أن الأعمال أعراض لا يمكن وزنها، فكيف إذا زالت وتلاشت، بل المراد به العدل الثابت في كل شيء[٤]. وإذا كان الأمر على ما ذهب إليه هؤلاء المعتزلة من أن الميزان المقصود به العدل؛ لكان لا يثبت للثقل والخفة فيه معنى فدلّ على أن المراد به الميزان المعروف الذي يشتمل على ما تشتمل عليه الموازين فيما بيننا[٥]. يقول ابن حزم: «**نقطع على أن الموازين توضع يوم القيامة لوزن أعمال العباد**»[٦].

وقد وردت آيات في القرآن الكريم بصيغة الجمع للميزان يوم القيامة وآيات أخرى بالإفراد، ولا تعارض في ذلك؛ لأنه من الممكن أن يقال: إن لكل عاقل

---

(١) فتاوى ابن تيمية الكبرى جـ ٤ ص ٣٠٢ .
(٢) الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٨٢، ١٨٣ .
(٣) الأصول الخمسة ص ٧٣٥ بتصرف.
(٤) انظر المقاصد جـ ٢ ص ١٦٤ .
(٥) الأصول الخمسة ص ٧٣٥ .
(٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ ٤ ص ٥٤ .

موازين يوزن بكل منها صنف من عمله. وجاء القرآن الكريم بالوزن تارة في قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ [الأعراف :٨] وبالموازين تارة في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء :٤٧][(١)] وقيل: لفظ الجمع للتعظيم، وإنما الميزان الكبير واحد إظهارًا لجلالة الأمر وعظمة المقام[(٢)].

كيفية الميزان:

ذهب جمهور المفسرين إلى أن الموزون الكتب التي اشتملت على أعمال العباد، بناءً على أن الحسنات مميزة بكتاب والسيئات بآخر. وقيل بل تُجْعَل الحسنات أجسامًا نورانية والسيئات أجسامًا ظلمانية [(٣)].

وهناك بعض الأحاديث التي تبين أن الرجلَ يوزنُ مع عمله، وأخرى تفيدُ أن العملَ نفسَهُ هو الذي يوزن.

روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، اقرءوا إن شئتم ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾** [الكهف :١٠٥][(٤)].

وروى الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: **«توضعُ الموازينُ يوم القيامة، فيؤتى بالرجلِ فيوضع في كفة فيوضع ما أحصى عليه فتمايل به الميزان»** قال: **«فيبعث به إلى النار»** قال: **«فإذا أدبر به إذا صائح يصيح من عند الرحمن يقول: لا تعجلوا فإنه قد بقى له، فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان»** [(٥)]، ويعلق ابن كثير على هذا الحديث بقوله: **«فيه فائدة جليلة وهو أن العامل يوزن مع عمله»** [(٦)].

---

(١) وانظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢٢٤ .

(٢) المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٦٤ .

(٣) نفسه، وانظر تحفة المريد ص ٢٢٥ .

(٤) الحديث رواه الإمام مسلم جـ ٤ ص ٢١٤٧، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

(٥) رواه الإمام أحمد جـ ٢ ص ٢٢١، ٢٢٢ .

(٦) النهاية في الفتن والملاحم جـ ٢ ص ٢٤ .

وروى الإمام مسلم بسند عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: **«الطهور شطرُ الإيمان والحمد لله تملأ الميزان»** [١] فقوله: **«الحمد لله تملأ الميزان»** فيه دلالة على أن الأعمال تجسد يومَ القيامة، وتجعلُ ذاتًا يوضع في الميزان [٢].

ويمكن أن نجمع بين تلك الروايات بأن الموازين تثقل بالكتب. قال ابن عمر: **«توزن صحائف الأعمال»** وإذًا فالصحف أجسام، فيجعل الله تعالى رجحان إحدى الكفتين على الأخرى دليل على كثرة أعماله بإدخاله الجنة [٣].

ويكون وزن الكافر يوم القيامة على سبيل التحقير له والذلة، بأنه لا يساوي شيئًا، وأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد الذي استنبط منه ابن كثير أن العاقل يوزن مع عمله فهذا خاص بأحد المؤمنين يوم القيامة إظهارًا لفضل **«لا إله إلا الله»** يوم القيامة عند الله.

من توزن أعمالهم يوم القيامة؟:

الميزان يكون للمؤمنين والكفار يوم القيامة، ويستثنى من المؤمنين من يدخلون الجنة بغير حساب. يقول القرطبي: **«الميزان حق، ولا يكون في حق كل أحد بدليل قوله عليه السلام: «فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه»** [٤]، ويؤخذ من هذا أن الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا توزن لهم أعمال؛ لعلم الله عز وجل بصلاحهم وثقل أعمالهم. أما ما جاء عن الكفار في قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف :١٠٥]. فيقول ابن حزم بعد أن أورد الآية السابقة: **«وليس هذا على أن لا توزن أعمالهم بل توزن، لكن أعمالهم شائلة، وموازينهم خفاف، فقد نص الله تعالى على ذلك إذ يقول:** ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون :١٠٣] إلى

---

(١) رواه الإمام مسلم جـ ١ ص ٢٠٣ .
(٢) انظر النهاية في الفتن والملاحم جـ ٢ ص ٢٦ .
(٣) التذكرة للقرطبي جـ ٢ ص ٣٧٧، والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ١٨٢ .
(٤) التذكرة للقرطبي جـ ٢ ص ٣٧٥ .

قوله ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [المؤمنون :١٠٥]. فأخبر عز وجل أن هؤلاء المكذبين بآياته خفت موازينهم، والمكذبون بآيات الله عز وجل كفار بلا شك» [(١)] والذي ذهب إليه ابن حزم هو الحق ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم﴾ [الأعراف :٩] فهذا إخبار من الله تعالى بأن الكفار تخف موازينهم؛ لأنهم لا ثواب لهم، وأعمالهم مقابلة بالعذاب فلا حسنة لهم توزن في موازين يوم القيامة، أي لا ينفعهم شيء في ميزانهم.

فائدة الميزان:

إن وزن الأعمال يوم القيامة بالنسبة للمؤمنين والكفار أن تجعل علامة لأهل السعادة إذا كانت موازينهم ثقيلة، وتكون علامة لأهل الشقاوة الذين خفت موازينهم. وفي الميزان تعريف للعباد بما لهم وما عليهم وإقامة للحجة عليهم. وإظهار لعدل الله عز وجل يوم القيامة، وفيه بيان للطف الله ببعض الناس يوم القيامة حين يتجاوز عن سيئاتهم ويدخلهم الجنة بفضله ورحمته.

والميزان له فائدة تتعلق بالمكلفين، وهذه الفائدة هي تنبيه المكلفين إلى أداء الواجبات وترك المنكرات، إذا علموا أن أعمالهم ستعرض عليه وتوزن على رؤوس الأشهاد يوم القيامة [(٢)].

عدم وجود الميزان والصراط في التصور النصراني واليهودي:

لم يتحدث العهد القديم وأيضًا العهد الجديد عن الميزان أو الصراط. وفي المصادر التي رجعت إليها لم أعثر على أي إشارة عن الميزان أو الصراط، لا عند اليهود [(٣)]، ولا عند النصارى [(٤)].

(١) الفصل لابن حزم جـ ٤ ص ٥٤، والتذكرة جـ ٢ ص ٣٧٣، وتحفة المريد ٢٢٥ .
(٢) انظر الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٨٢، والأصول الخمسة ص ٧٣٦، وتحفة المريد ص ٢٢٦ .
(٣) انظر على سبيل المثال: الأمانات والاعتقادات لسعديا الفيومي. وانظر تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث وانظر التلمود تاريخه وتعاليمه وانظر السنن القويم في تفسير العهد القديم، وانظر التلمود تسلسله وآدابه.
(٤) في لقاء للباحث مع الأنبا غريغوريوس - أسقف عام الدراسات العليا والبحث العلمي..=

ويبين القرافي ذلك بقوله: «كثر التنبيه على أحوال الآخرة في شرعنا أكثر من التوراة والإنجيل حتى لم يكثر الله تعالى ذكر شيء في القرآن الكريم أكثر من ذكر البعث» [١].

يقول: «فلذلك لا نجد علم تفاصيل البعث والحشر والصراط والميزان وأحوال أهل الجنان والنيران وما يتفق في المحشر من الوقائع وما يكون في القبور قبل ذلك وما علم منه فإنه عُلِمَ من أخبار هذه الأمة» [٢].

* * *

=والثقافة القبطية أكد عدم وجود الميزان والصراط عند النصارى - انظر على سبيل المثال: قاموس الكتاب المقدس، علم اللاهوت النظامي، علم اللاهوت الكتابي، علم اللاهوت بحسب معتقد الكنيسة الأرثوذكسية.

(١) الأجوبة الفاخرة ص ١٠٦ بهامش الفارق بين المخلوق والخالق.

(٢) نفسه ص ١٠٨ .

obeikandl.com